هو العین

عین الأعیان

کتاب تفسیر الفاتحه للعالم الربانی والعارف الصمدانی شیخ الاسلام ومرشد
المسلمین مرجع العلماء والصالحین التقی النصائح والنقی الفالح العالم العامل
شمس الدین محمد بن حمزة الفناری علیه رحمة الباری

باب والای فتوایناهجنك نصه بقی
ومعارف نظارت جلیله سنك ۱۲۷۱ نومرولی
و ۱۷ ربیع الاول سنه ۷۷۵ تاریخلی رخصتنامه سیله مرجامده
رفعت بك مطبعه سنده طبع اولندی

برنجی طبعی

دار السعادة

ناشری:
رفعت بك مطبعه سی صاحب ستیاری

سنه ۱۳۲۵

﴿ ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ اللهم انانسئلك فهم النبيين * وحفظ المرسلين * والهام ملائكتك المقربين * وتوفيق عبادك الصالحين * اللهم اجعلنا ممن يطلب التفسير لتيسير عسير نفسه بالعلم والعمل * لا لتخييل الخيلاء او الترفع بالمراء والجدل * وارزقنا الترقى باجتناء اثمار الاعمال * وباقتفاء آثار الكمال * والتوقى عن وهج طول الآمال * ولهج فرط الكسل والاهمال * بمحمد وآله خير آل * صلى الله عليه وعليهم مابورك بالدعاء لهم افتتاح المقال * وتدورك بالثناء عليهم انشراح البال ﴿ الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب ﴾ انذاراً وتبشيراً * وآتاه الله الحكمة وفصل الخطاب تفسيراً وتيسيراً * كما خصصه بجوامع الكلم تعظيما وتوقيرا * فرصعها بمجامع الحكم تتميماً وتوقيراً * دبر الملكوت والممالك تقديماً وتأخيراً * وقدر اخلاق الخلائق وارزاق العلائق تقسيما وتقديرا * فمنهم من كمله فى عوالم الايمان بمعالم العرفان تشريفا وتنويرا * ولذلك ارسل رسله وانزل كتبه تعريفا وتبصيرا * ومنهم من خذله وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة * فاقبل على الهوى عن الهدى * ولم يثمر له التحذير الا تخسيرا * ثم ارسل الينا على تلك القاعدة الممضاة رحمةً مهداةً * مهديةً مرضاةً مروجةً لنا بضاعة مزجاة * فجاء مجيء الصبح والليل داجن * وحل محل الغيث والقفر محل * فاستفرغ فى الاداء اى مجهود * واستغرق فى الوفاء باى معهود * حتى وصل من شيم السيادة علاها فعلاها * كما حصل من كنه العبودة فحويها فحواها * محمد خاتم النبيين وام كتاب المرسلين .

{ فلاح فلاح البيض من جوجاهه * وعاش عطاش السود من جود جوده }
{ عليه من التسليم ما زاد عدة * على رمل قفربات تحت جنوده }

وعلى آله الآخذين بحدوده * الوافين بعهوده من آله الابرار وصحبه الاخيار * واشهد ان لااله الاالله شهادة تبوئنا دارالقرار * مع اولى الايدى والابصار ﴿ فنم عقبى الدار ﴾ واشهد ان محمدا عبده ورسوله شهادة تستوجب شفاعة المختار * بين يدى الغفار * وادم اللهم دولة من تسبب لهذا الجمع بشارة اشارته * وتشمر عن ساق الجد فيها نهاية عنايته * فاثمر تحتم طاعته همة صادقة تفتر عن الاهتمام التام فى كتابته * ولا تفترحين ينظر الى قصور من اشار اليه وقلة بضاعته * وغلو علو رتبة هذه الصناعة من زينة صياغته * كما قال

{ مالى وللامر الذى قلدته * ما للذباب وطعمة العنقاء }
{ ابكى لعجزى وهو يبكى ذلة * شتان بين بكائه و بكائى }

وهوالذى تفرد بين اهل زمانه بتمكين اساس الشريعة الشريفة فى مكانه * وتكين غلل علل الاشرار * عن ملل قلل الاقطار * حتى انتهى الى امد من محبته الدين * واهله متباعد * وترقى فى تربية اصحاب اليقين * الى ان عدالف بواحد * فاصبح متن الفضل برياسته متينا * وركن العدل بسياسته مكينا * فهوكما قيل

{ ملك يريك شسوع منزل قدره * زهر الكواكب منه صف نعال }
{ ليث لاقران المجامع ماله * ثان اذا دعت الملوك نزال }
{ وله طبيعة منطق يعلو به * دين الآله القادر المتعال }
{ لامثل لى حباً ولالك فى الورى * حسناً كلانا مضرب الامثال }
{ وكأننى الا لحبك لم اكن * وكأن حبك لم يكن الالى }

السلطان ابن السلطان * محمد بن السعيد الشهيد علاء الدين بك ابن قرمان

{ لازال بابك مثوى العدل مسكنه * مأوى العلى والمبانى مجمع الدول }
{ وعشت فى غرة تزهى الملوك بها * وسيرة ترتضى فى الله والرسل }
{ ومتع الله نسلا انت والده * بالعمر والسعد محفوظا عن الخلل }

(اما بعد) فاعلموا معشر طلاب اليقين * سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين * ان الحقيق بطلبة طلبة التحقيق * تحصيل البصيرة التامة والرأى الوثيق * قبل خوضهم فى سلوك الطريق * وهذا مركوز فى طبيعة كل فريق * فلهذا يحق على مريد مزيد التوفيق

للوقوف على حقايق التفسير بالتدقيق * ان يقدم معرفة حده الجامع المانع * ثم معرفة وجه الحاجة اليه بمعرفة فضله الرفيع الرافع * ثم معرفة موضوعه الذى يبحث فيه عن احواله الخاصة بالوجه الشامل الجامع * ثم معرفة ان استمداده من اى علم نافع * فرأى هذا العبد الضعيف ان يمهد هذه الاربعة الابواب * مع عدة فصول يتضمنها كل باب * قبل الخوض فى مقصود الكتاب

الباب الاول

فيما يتعلق بحد علم التفسير وفيه فصول ﴿ الفصل الاول ﴾ فى نفس حده قال مولانا قطب الدين الرازى رحمه الله فى شرحه للكشاف واياه اعنى بالشارح الفاضل اينما وقع هو مايبحث فيه عن مراد الله تعالى من قرآنه المجيد ويرد عليه ان البحث فيه ربما كان عن احوال الالفاظ كمباحث القرآآت من نحو ملك ومالك ومباحث ناسخية الالفاظ ومنسوخيتها ومباحث اسباب نزولها وترتيب نزولها وانها مكية او مدنية الى غير ذلك فامثالها من التفسير ولايجمعها حده وايضا يدخل فيه البحث فى الفقه الاكبر والاصغر عما يثبت بالكتاب فانه بحث عن مراد الله تعالى من قرآنه فلا يمنعه حده فكأن الشارح التفتازانى رحمه الله انما عدل عنه لذلك الى قوله هو العلم الباحث عن احوال الفاظ كلام الله تعالى من حيث الدلالة على المراد فزاد لفظ احوال الالفاظ ليجمع الاولى وقيد بالحيثية ليمنع الثانية ويمنع العلوم الادبية فانها باحثة عن احوال كلام الله لكن البحث من حيث انه كلام مطلقا لامن حيث الدلالة على مراد الله تعالى الذى هو المراد * واقول يرد على مختاره ايضا وجوه (الاول) ان البحث المتعلق بالفاظ القرأن ربما لا يكون بحيث يؤثر فى المعنى المراد بالدلالة والبيان بخلاف ملك ومالك والناسخية والمنسوخية واسباب النزول ممالها اثر فى تعين المعنى فى الجملة وذلك كبحث علم القرآءة عن امثال التفخيم والامالة والمد والقصر والاطالة الى مالايحصى فان علم القرآءة جزء من علم التفسير افرز عنه لمزيد الاهتمام لانها مهم كل الانام افراز الكحالة من الطب والفرائض من علم الاحكام وقد خرج بقيد الحيثية ولم يجمعه ﴿فان قيل﴾ اراد تعريفه بعد افرز علم القرآءة ﴿ قلنا ﴾ فلا يناسب الشرح المشروح للبحث فيه عما لايتغير به المعنى فى مواضع لاتحصى منها الحمد لله بالضمتين او الكسرتين وأنذرتهم بالتحقيق والتخفيف واقحام الالف (الثانى)

ان المراد بالمراد ان كان المراد بمطلق الكلام فقد دخل العلوم الادبية وان كان مراد الله تعالى بكلامه فان اريد مراده فى نفس الامر فلا يفيده بحث التفسير لان طريقه غالبا اما رواية الآحاد او الدراية بطريق العربية وكلاهما ظنى كما عرف ولان فهم كل احد بقدر استعداده ولذلك اوصى المشايخ فى الايمان ان يقال آمنت بالله وبما جاء به من عنده على مراده وآمنت برسول الله وبما قاله على مراده ولا يعين بما ذكره اهل التفسير ويكرر ذلك علم الهدى رحمه الله فى تأويلاته وان اريد مراده تعالى فى زعم المفسر ففيه حزازة من وجهين (الاول) كون علم التفسير بالنسبة الى كل مفسر بل الى كل احد شيأ آخر وهذا مثل ما اعترض على حد الفقه لصاحب التنقيح وظن وروده والا فانى اجيب عنه بان التعدد ليس فى حقيقته النوعية بل فى جزئياتها المختلفة باختلاف القوابل وايضا ذكر الشيخ رحمه الله فى تفسير مالك يوم الدين ان جميع المعانى المفسر بها لفظ القرآن رواية او دراية صحيحتين مراد الله لكن بحسب المراتب والقوابل لا فى حق كل احد (الثانى) ان الاذهان تنساق بمعانى الالفاظ الى ما فى نفس الامر على ما عرف فلا بد لصرفها عنه من ان يقال من حيث الدلالة على مايظن انه مراد الله تعالى (الثالث) ان عبارة العلم الباحث فى المتعارف تنصرف الى الاصول والقواعد او ملكتها وليس لعلم التفسير قواعد يتفرع عليها الجزئيات الا فى مواضع نادرة فلا يتناول غير تلك المواضع الا بالعناية فالاولى ان يقال علم التفسير معرفة احوال كلام الله تعالى من حيث القرآنية ومن حيث دلالته على مايعلم او يظن انه مراد الله تعالى بقدر الطاقة الانسانية فهذا يتناول اقسام البيان باسرها (الفصل الثانى) فى تقسيمه الى التفسير والتأويل * قال الفاضل فى شرحه بيان معانى القرآن اما بالنقل عن النبى صلى الله عليه وسلم او عن الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين وهو التفسير واما بحسب قواعد العربية وهو التأويل . ويرد عليه ان تعيين احد المحتملات بالادلة العقلية خارج عن القسمين وذلك كما سيجئ فى قسمى العقليات والاعتقاديات ان مفزع التأويل فيهما الدليل العقلى * وقال الامام محيى السنة وعدة من اهل التفسير ان التفسير بيان سبب نزول الآية وشأنها وقصتها والقوم الذين اريدوا فلا يجوز الا بالسماع . والتأويل صرف اللفظ الى معنى يحتمله موافق لما قبلها وما بعدها غير مخالف للكتاب والسنة . ويرد عليه اللفظ الذى له معنى واحد وهو المراد والموضوع له ولا رواية فيه اذ يخرج عنهما . والمشهور ما فى الكواشى وعليه آخر كلام الشارحين ان التفسير مايتعلق بالرواية والتأويل مايتعلق

بالدراية . وفيه بعد ما مر احتمال ان التفسير اتزل من التأويل لجواز ان يكون الرواية بخبر الواحد ويكون التأويل بالصرف الى محكم الكتاب او السنة المتواترة وبالدليل العقلي وهو خلاف الاجماع ولا يندفع هذا عن الاقوال الثلاثة الا ان يحمل هذا على ماذكره علم الهدى ان التفسير بيان من شهد المروى فهو يقول بالعلم وغيره بالرأى قال وجميع ماجآء عن الائمة وبنى الفقهاء كلامهم عليه هو تأويل لا تفسير كذا نقل عنه فى التيسير فمنه يعلم كما قال الاصفهانى ان كلا من التفسير والتأويل مشترك لفظى بين المعنى الاعم والاخص كالعلم بين مطلق الادراك والاعتقاد الجازم الثابت (فاقول) فى الجواب عن الثالث لما كانت الرواية من حيث هى طريق بيان المعلوم اى المشاهد سميت تفسيراً لانها طريق كشف المعلوم وسببه وان لم يحصل العلم للمروى له اما الصرف عن الظاهر فليس من حيث هو طريقا للعلم . وعن الثانى ان المنقسم الى التفسير والتأويل هو بيان المعنى المحتاج الى البيان اذ بيان المبين تحصيل الحاصل وذلك منحصر فى القسمين لما قال فى عين المعانى التفسير اطلاق محتبس اللفظ وقال الاصفهانى ان التفسير انما يتحقق اما فى غريب الالفاظ نحو البحيرة والسائبة والوصيلة واما فى وجيز يتبين بشرح كقوله تعالى ﴿اقيموا الصلوة وآتوا الزكوة﴾ واما فى كلام متضمن لقصة لا يمكن تصوره الا بمعرفتها نحو قوله تعالى ﴿انما النسئ زيادة فى الكفر﴾ وقوله تعالى ﴿ليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها﴾ وعن الاول ان تقيد المطلق او تخصيص العام او تعيين المعنى المجازى او احد معنيى المشترك كل ذلك بالقرينة العقلية وذلك من جملة قواعد العربية ليس خارجا عنها فتمثيلهما بما فى التفسير ان بيان المراد بالطائفتين فى قوله تعالى ﴿وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾ الاوس والخزرج وبالقوم ﴿فى ستدعون الى قوم اولى بأس﴾ هم فارس واليمامة وبمن يعجبك فى قوله تعالى ﴿ومن الناس من يعجبك قوله﴾ هو الاخنس بن شريق تفسير اما قولهم فى قوله تعالى ﴿انفروا خفافا وثقالا﴾ اى شبانا وشيوخا او فقرآء واغنيآء اوصحاحا ومرضى او نشاطا وغير نشاط فتأويل اولى من تمثيلهما بما فى الكواشى من ان قوله تعالى ﴿لاريب فيه﴾ بمعنى لاشك فيه تفسير وبمعنى لاريب فيه للمتأمل فى شواهد صدقه تأويل اذ الرواية الشرعية فى الاول غير معهودة هذا قول المفسرين فيهما (وماخذهما) ان السفر والفسر ينبئان عن الكشف كتفسرة الطبيب وسفر وجه الحبيب والسفرة المقدمة لسفر الغريب فالتفسير والتسفير بمعنى واحد وقيل الاول كشف المعانى والثانى كشف الاعيان

(واما)

واما قول فخر الاسلام ان التفسير هو الكشف بلا شبهة فانما يصح بحمله على ماسلف من قول علم الهدى ان التفسير للمشاهد او على تفسير بعض القرآن بعضا كما عرفه الاصوليون والا فاكثر مايتعلق بالرواية ظنيات ثابتة باخبار الآحاد والتأويل اما من الاول وهو الانصراف فالتضعيف للتعدية واما من الايالة وهي السياسة والصرف فالتضعيف للتكثير وقد يراد المصروف اليه كقوله تعالى ﴿هل ينظرون الا تأويله﴾ اى عاقبة امره . وقال الاصوليون التفسير بيان مايحتمله اللفظ ظاهراً والتأويل بيان مايحتمله باطناً وقريب منه قولهم التأويل حمل الظاهر على المحتمل المرجوح ويتناولان التأويل الصحيح المسمى منقاداً والفاسد المسمى مستكرهاً ولو قيل بدليل يصيره راجحا خص بالصحيح وقيل التأويل حمل اللفظ على احد محتملاته بدليل ظني اذلو كان بدليل قطعي كان تفسيراً فحمل المشترك على احد معانيه بدليل ظني تأويل على هذا دون الاولين لكنهما يشملان الصرف بالدليل القطعي دون الثالث فبينه وبينهما عموم من وجه . قال الاصفهاني التأويل المنقاد مالا يعرض فيه استقباح وقد يقع فيه الخلاف بين الراسخين في العلم بوجوه (الاول) اشتراك اللفظ نحو ﴿لاتدركه الابصار﴾ هل هو بصر العين او القلب (الثاني) اقتضاء النظم نحو ﴿اولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا﴾ هل الاستثناء مقصور على المعطوف اوراجع الى الكل (الثالث) غموض المعنى ووجازة اللفظ نحو ﴿وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم﴾ ووجوه اعتبارها ان ينظر فان كان ماورد فيه التأويل المنقاد امراً عقليا فزع في كشفه الى الادلة العقلية لقوله تعالى ﴿ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب﴾ وان كان امرا شرعيا فزع في كشفه الى آية محكمة اوسنة مبينة وان كان من الاخبار الاعتقادية فزع الى الحجج العقلية وان كان من الاخبار الاعتبارية الاعتبارية فزع الى الاخبار الصحيحة المشروحة في القصص . اما التأويل المستكره مما يستشنع لابتنائه على التدليسات المزخرفة المروجة وذلك باربعة اوجه (الاول) بتقييد المطلق بلا دليل كقولهم المراد بصالح المؤمنين في قوله تعالى ﴿فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين﴾ هو علي (الثاني) بالتلفيق بين آيتين كقولهم الحيوانات كلها مكلفة لقوله تعالى ﴿وان من امة الا خلا فيها نذير﴾ وقوله تعالى ﴿وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم﴾ (الثالث) بالخبر المزور كقولهم في قوله تعالى ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ انه الجارحة المخصوصة لحديث موضوع (الرابع) باستعارة بديعة واشتقاق بديع كقولهم المراد بالبقر انسان يبقر عن انواع العلوم وبالهدهد انسان جيد البحث والتنقير

﴿ الفصل الثالث ﴾ فى جواز الخوض فيهما قال فى التيسير قيل لايجوز الا بنقل صحيح لماروى ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار وفى رواية له من قال فى القرآن بغير علم ويروى من فسر القرآن برأيه وروى جندب عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من قال فى القرآن برأيه فاصاب فقد اخطأ . وقال ابوبكر رضى الله عنه حين سئل عن قوله تعالى ﴿وفاكهة وابا﴾ اى سمآء تظلنى واى ارض تقلنى اذا قلت فى كتاب الله مالا اعلم به . اما عامة اهل العلم فعلى جوازه بالكتاب والخبر والاثر ودلالة الاجماع . اما الكتاب فالآيات الحاثة على التدبر فيه للوقوف على معانيه والاستنباط منه والتبيين للناس وفيها كثرة . واما الخبر فقوله صلى الله عليه وسلم اول مايرفع من الارض العلم قالوا يارسول الله يرفع القرآن قال لا ولكن يموت من يعلم تأويله ويبقى قوم يتأولون على اهوآئهم وماروى ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على احسن وجوهه فلكل من هذه الكلمات الثلاث وجهان فقوله ذلول اى ممكن القراءة اوواضح المعانى للمجتهدين وقوله ذو وجوه اى كلماته محتملة لاعجازها وجوها كثيرة متناسبة اوجامعة وجوها من الامر والنهى والوعد والوعيد وغيرها وقوله فاحملوه على احسن وجوهه اى اولوه باحسن معانيه اواعملوا باحسن مافيه من العزائم دون الرخص ومن العفو دون الانتصاف . واما الاثر فقول ابن مسعود رضى الله عنه من اراد العلم فليثور القرآن وقول على رضى الله عنه مامن شئ الا وعلمه فى القرآن ولكن رأى الرجال يعجز عنه ونظموه بقولهم

﴿ جميع العلم فى القرآن لكن * تقاصر عنه افهام الرجال ﴾

وقول الحسن رحمه الله تعالى انزل الله مائة واربعة كتب من السماء اودع علومها اربعة التورية والانجيل والزبور والفرقان ثم اودع علوم هذه الاربعة الفرقان ثم اودع علوم الفرقان المفصل ثم اودع علوم المفصل فاتحة الكتاب فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع كتب الله المنزلة . وقول ابن عباس رضى الله عنه التفسير على اربعة اوجه . وجه يعرفه العرب بكلامها . ووجه لايعذر احد بجهالته . ووجه يعلمه العلماء . ووجه لايعلمه الا الله قالوا فالاول حقائق اللغة والثانى هو اصول التوحيد واصول الشرائع والثالث فروع الاحكام وتأويل المحتملات والرابع الغيوب كوقت قيام الساعة وظهور اشراطها فما لا يعذر احد بجهله فرض عين وما يختص به

العلماء فرض كفاية . والجواب عن احتجاجهم بقول ابى بكر واضح و بقوله صلى الله عليه وسلم من قال فى القرآن برأيه الحديث وجوه (الاول) معناه من حمله على ما يترآءى له بخواطره ولم يعمل بشهادة دلائله فاصاب الحق فقد اخطأ الدليل وقريب منه ماقال الفاضل ان معنى برأيه بمجرد الحسبان من غير الاستنباط المعهود من القواعد العربية والشرعية (الثانى) انه جعل الرأى عبارة عما فى القرآن وحمله على مذهبه كحمل المعتزلة النظر فى قوله تعالى ﴿الى ربها ناظرة﴾ على انتظار الكرامة دون الرؤية وحمل اسناد الاضلال على التسبيب دون الايجاد (الثالث) انه فى المتشابه الذى ليس للناس حاجة الى معرفة مافيه كما مر فى الساق (الرابع) انه فى حق من يقطع القول بصحة ماادى اليه اجتهاده لانه نصب نفسه صاحب وحى ولم يقل ان اصبت فمن الله وان اخطأت فمنى ومن الشيطان مع ان الحق ان ليس كل مجتهد مصيباً اللهم الا لثواب اجتهاده او فى مقدمات اجتهاده او فى حق العمل لنفسه ومتبعيه وعن هذا قيل ان الوعيد مخصوص بالتفسير بمعنى كشف المراد بلا شبهة والوجوه المذكورة اعم ﴿ الفصل الرابع فى معرفة وجوههما المسماة بطناً او ظهراً وبطناً وحدا ومطلعاً وما بعده ﴾ ذكر الامام محيى السنة بالاسناد الى عبدالله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ﴿ان القرآن نزل على سبعة احرف لكل آية منها ظهر وبطن ولكل حد مطلع﴾ ويروى لكل حرف حد ولكل حد مطلع . فقال قيل الظهر لفظه والبطن تأويله . وقيل الظهر ماحدث من عصيان من تقدم وعقابهم فهو فى الظاهر خبر وباطنه عظة وتحذير . وقيل هما تلاوة وتفهم اى لكل آية ظاهر هو ترتيلها وباطن هو تدبرها ولكل حرف حد فى التلاوة اى لايجاوز المصحف وفى التدبر والتفسير اى لايجاوز المسموع ولكل حد مطلع اى مصعد من علمه يفتحه الله على المتدبر مالا يفتحه على غيره وفوق كل ذى علم عليم . هذا حاصل قوله رحمه الله وغير مستبعد ان يفهم منه ان المعانى الحقيقية المفهومة بمجرد وضع العرب يسمى ظهراً لانه اول مايظهر للسامع والمعانى التفسيرية المروية عن السلف بطنا لان مراد الكلام روحه و باطنه و المعانى التأويلية المجازية اوالكنائية على مراتبها المتفاوتة بحسب التعمق والتغلغل فى وجوه الانتقال وقوانينه مطلعا ووجوه الانتقالات حدوداً . اما الذى يفهم من مساق كلام الشيخ رحمه الله فى تفسير الفاتحة انها عبارة عن مراتب المعانى القرآنية المتعينة ظهوراً وخفاءً بتعينات تجليات الاسم

المتكلم نظير تعينات الحضرات الكلية . فالمتعين فى اقصى مراتب الظهور كالمتعين بحضرة الملك والشهادة ظهر . والاخفى منه نظير الارواح القدسية بطن . والمطلع مايفيد الاطلاع على الحقيقة التى اليها يستند الظاهر والباطن وهو باب حضرة الاسماء والحقايق العينية واول منزل الغيب الآلهى . والحد هو المميز بين الظاهر والباطن وبين الباطن . والمطلع والبرزخ الجامع بذاته للطرفين نظيره عالم المثال الجامع بين الغيب المحقق والشهادة . ومابعد المطلع ماليس بشئ زائد على ذات المتكلم يعرف من سر النفس الرحمانى . (اقول) فالحاصل انها اسماء المعانى بحسب مراتب الظهور والخفاء . فالظاهر ظهور المحسوس ظهر وظهور الارواح بطن . والخفى خفاء الحقائق مطلع وخفاء التعين الاكمل الاحدى المحمدى مابعده . وذكر الشيخ رحمه الله ايضاً فى رواية ان للقرآن بطونا الى سبعة و فى رواية الى سبعين . فقيل الظهر لفظه . والبطن الاول معناه المتعين فى مرتبة ضبط النفس الامور الدنياوية بالقوة العاملة . والثانى المتعين فى مرتبة ضبطها الامور الاخروية فى القوة العاقلة المنورة بنور الشرع . والثالث المتعين فى مرتبة الروح . والرابع المتعين فى مرتبة السر الآلهى الذى هو الوجود المضاف من حيث ظهوره العينى . والخامس ذلك ايضا لكن من حيث بطونه الاستقرارى فى القلب القابل لتجليه . والسادس ذلك ايضاً لكن من حيث جمعه الرحمانى بين الظهور والبطون فى الدائرة البرزخية الثابتة التى هى منتهى الكمل والافراد . والسابع ذلك ايضا لكن من حيث احدية جمع الجمع للكل وهى مرتبة الاكملية . ولاينفتح شمة منها الا لصاحب الارث المحمدى . اما السبعون والله اعلم فاشارة الى ان فى كل بطن مراتب متفاوتة تفاوتاً بالغاً حد الكثرة لان العشرة حد اول كثرة الآحاد والسبعة منتهى كثرة امهات الاسماء والسبعون جامع بين الحدين فجعل فى عرف العرب ضرب مثال للتكثير كما فى قوله تعالى ﴿ان تستغفر لهم سبعين مرة﴾ الآية

﴿ تتمة فى تمثيل مراتب المعنى فى بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قال الشيخ رحمه الله فى تفسير الفاتحة مامعناه هذا . رحمتا البسملة للتعميم والتخصيص على ان فى الاول خصوص العموم وفى الثانى عموم الخصوص ورحمتا الفاتحة (احداهما) للذاتية الامتنانية التى وسعت كل شئ وليست فى مقابلة عمل او استحقاق واليه الاشارة بقولنا قبل من قبل لالعلة ورد من رد لالعلة وبها يتعلق رجاء ابليس على مايحكى (والاخرى) للشرطية التقييدية التى تفيض بحسب

القابلية والاستعداد اليها الاشارة بقوله تعالى ﴿ كتب على نفسه الرحمة ﴾ فالحق سبحانه باعتبارها محبة ذاتية سابقة ومحبة صفاتية لاحقة اليهما الاشارة بقوله تعالى ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ وقوله ﴿ فاتبعونى يحببكم الله ﴾ وبقول الصديقة الصغرى

{ احبك حبين حب الهوى * وحب لانك اهل لذاكا }
{ فاماالذى هو حب الهوى * فذكرك اياى حين اراكا }
{ واما الذى انت اهل له * فشغلى بذكرك عمن سواكا }
{ فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لى * ولكن لك الحمد فى ذاوذاكا }

اذاعرف فالمقصود من البسملة الاستعانة بتوجه المعبود الحق فى الامر المتلبس ويتفاوت الاستعانة بحسب تفاوت التوجه . فالتوجه بالذكر الملفوظ الملحوظ ظهر وهو اول مراتب الاحسان المفسر بقول الشيخ رحمه الله فعل ماينبغى لماينبغى على ماينبغى . وان لم يلاحظ فان لاحظ الذاكر كونه ذاكرا بنفسه او بروحه او بقلبه الذى هو الهيئة الجامعة بين الكل فباطن وهو اوسط مراتب الاحسان المشار اليها بقوله صلى الله عليه وسلم ﴿ اعبد الله كانك تراه ﴾ وهى المراقبة . وان لاحظ ان كل اثر هو للحق والممكن من حيث هو ممكن عدم لايؤثر فهو الذاكر والمذكور لكن فى الحقيقة لافى الصورة فهو مطلع وهو مرتبة علم اليقين المفسر بالسكون بما غاب لقوة دليله وهى آخر مراتب الاحسان واول مراتب الولايه وهى مرتبة المشاهدة الحاصلة بعد الاستغراق فى المراقبة بحذف كاف كان . وان بلغ ذكر الحق الى المرتبة التى سماها الشيخ الكبير رحمه الله فى مواقع النجوم بدرجة نسيان الذكر والذاكر بالمذكور فهو مابعد المطلع وهذه مرتبة حق اليقين بعد آخر مرتبة الاحسان . والبرازخ حدود والله اعلم . اما تمثيل البطون السبعة فى التوجهات على مايستفاد من تفسير الفاتحة فهو ان توجه المشبهة الى الوجه الظاهر من التجلى البرزخى الكثيبى الذى هو آخر مراتب الظهور واول مراتب البطون توجها يختص بانسانية الامر فهو ظهر وقبلة النفوس نفس التجلى البرزخى فهو بطن اول لان شأنه التدبير الملفق بينهما . قال وقبلة اهل السنة روح الامر ومرتبته معاً اعنى الالوهية وله تنزيه ليس كمثله شئ وتشبيه اعبدالله كانك تراه واعلى مراتبه ظاهر العماء يعنى بذلك والله اعلم التجلى المطلق من حيث ظهوره العام فهذه بطن ثان اذا اعتبر فى روح الامر التدبير العام . قال وقبلة المعقول مطلقا احدية معنى الامر من حيث اسنادها اليه لامن حيث هو فهذه بطن ثالث لاعتبار استناد فيض الكل اليه . قال وقبلة العارفين وجود مطلق

الصورة الربانية وظاهر الحق فهذه بطن رابع لاعتبار ظهور الوجود المطلق فى الاعيان . قال وقبلة المحققين وجود الحق فى مرتبته الجامعة بين الوجود والمراتب من غير تفرقة وتعديد فهذه بطن خامس لاعتبار استقرار الوجود المطلق فى المرتبة المطلقة. قال وقبلة الراسخين مرتبة الحق من حيث عدم مغايرتها له و انضياف مظهريته التى حذى آدم عليها اليها ولها حضرة احدية الجمع فهذه بطن سادس لاعتبار الاحدية الجامعة للباطن والظاهر . قال وقبلة الانسان الحقيق الذى هو العبد الاكمل حضرة الهوية التى لها احدية جمع الجمع المنعوتة بكل صفة وان كانت متقابلة وبالجمع بين الجمع والتفصيل فهذه بطن سابع والله اعلم ﴿ الفصل الخامس فى ان تحصيل علم التفسير فرض كفاية ﴾ وذلك لان تحصيل العلوم الشرعية من اصول الدين واصول الفقه والفقه فرض كفاية بالاجماع وذا يتوقف عليه كالحديث وما لايحصل الفرض المطلق الابه وكان مقدوراً للمكلف يكون فرضا مثله . (فان قلت) قوله صلى الله عليه وسلم ﴿ طلب العلم فريضة على كل مسلم ﴾ رواه انس يدل على انه فرض عين لما مر ان تحصيل العلم يتوقف عليه (قلت) ليس المراد مما فى الحديث العلم المدون بل علم الحال اى علم ما لابد لكل احد فى رعاية دينه كمعرفة الصانع ووحدانيته ونبوة رسوله وضروريات الدين وذلك فرض عين لكنه غير موقوف على علم التفسير المدون بل على دليله المخصوص او السؤال عن اهل الذكر كما قال تعالى ﴿ فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ﴾ ﴿ الفصل السادس فيمن اخذ منه التفسير من الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ﴾ فصدر مفسرى الصحابة على ابن ابى طالب رضى الله عنه ويتلوه عبدالله بن عباس رضى الله عنهما فقد روى قال ما اخذت من تفسير القرآن فمن على ابن ابى طالب فهو تبعه وكمله وهو الذى قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم (اللهم فقهه فى الدين) وحسبه ذلك . ويتلوه عبدالله بن مسعود وابى بن كعب وزيد بن ثابت وعبدالله بن عمرو بن العاص . وكان عبدالله بن مسعود يقول نعم ترجمان القرآن عبدالله بن عباس . وكل ما اخذ من الصحابة فحسن متقدم . ومن المبرزين فى التابعين الحسن البصرى ومجاهد وسعيد بن جبير وعلقمة ويتلوهم عكرمة والضحاك وقد اخذ عن ابن جبير وطبقة ابن عباس . واما السدى فكان عامر الشعبى يطعن فيه وفى ابى صالح بالتقصير فى النظر . ثم حمل التفسير عدول كل خلف عن سلف والفوا فيه كعبد الرزاق

والمفضل وعلى ابن ابى طلحة وغيرهم ثم محمد بن جرير الطبرى جمع اشتات التفسير وشفاء الناس فى الاسناد . ومن المبرزين فى المتأخرين ابو اسحاق الزجاج وابو على الفارسى واما ابو بكر النقاش وابو جعفر النحاس فكثير اما استدرك الناس عليهما . وعلى سننهما مكى بن ابى طالب وابو العباس المهدوى وكل متقن مأجور جزاهم الله عنا خير الجزاء كذا ذكره الاصفهانى رحمه الله وروى عنه انه قال تتبعت الكشاف فوجدت ان كل ما اخذه اخذه من تفسير الزجاج

خاتمة الباب فى التنبيه على حقائق الادراك واقسامه وطرقه

اعلم انها لكونها من الوجدانيات التى تحصل للنفس انفسها لا صورها تكون بديهية وغنية عن التعريف فلا تحتاج الا الى تنبيه يخلصها عن نزاع الوهم ويدفع اشتباه الالفاظ الدالة عليها ان اى لفظ وضع لاى معنى منها فتعاريفها لفظية . اما (الادراك) فى اللغة اللحوق قال تعالى ﴿قال اصحاب موسى انا لمدركون﴾ وتدارك القوم تلاحقوا قال تعالى ﴿حتى اذا ادارکوا فيها جميعا﴾ وفى العرف تمثل حقيقة الشئ عند المدرك يشاهدها ما به يدرك ولان التعريف لفظى لم يحتاج فيه عن ايراد المشتق فى تعريف المشتق منه لان الغرض تعيين المعنى المتميز عن سائر الصفات النفسانية وحاصله تمثل الحقيقة على وجه المشاهدة . والتمثل اقسام لان المدرك اما نفس المدرك او غيرها غير خارج عنها او خارجا ماديا او غير مادى . فادراك الاولين بحصول نفس حقيقتهما عند المدرك لكن الاول بدون الحلول والثانى بالحلول وادراك الاخيرين بحصول مثال الحقيقة سواء استفيد الادراك من الخارجى او الخارجى من الادراك لكن الثالث بحصول صورة منتزعة مجردة عن المادة والرابع لم يحتج الى انتزاع . فالتمثل هو الحصول بنفسه وذا فى الاولين او بمثاله وذا فى الاخيرين . وقوله عنده يشمل غير الحلول والحلول فى نفسه او فى آلته . وقوله ما به يدرك يشمل الذات والآلة . والمشاهدة ايضا الحضور لكن ليس المراد الحضور مرتين بل الحضور عند النفس بواسطة الحضور عند الآلة . (وتقسيمه) ان الادراك بالمشاعر الخمسة الظاهرة . احساس ومجردا عن الغواشى الغريبة واللواحق المادية التى لا تكون لازمة لماهيته عن ماهيته تعقل . وللمعنى الجزئى المتعلق بالمحسوس توهم . ومكتنفا بالغواشى الغريبة واللواحق المادية تخيل . والفرق انه لا يشترط فيه حضور

المادة بالنسبة الخاصة بخلاف الاحساس . ثم (العلم) قد يراد به مطلق الادراك وقد يخص بادراك ماليس بمحسوس . ويقسم بالمعنى الاول تارة الى التصور اعنى مالم يلحقه حكم بنفى او اثبات والى التصديق وذاما لحقه هو وتارة الى التصور الساذج والى تصور معه تصديق اى حكم فالاول فى قولك البياض عرض ان يحصل فى الذهن صورة هذا التأليف والثانى ان يحصل ان هذه الصورة مطابقة لما فى نفس الامر اى النسبة الحاصلة فى الذهن عند اعتبار نفسها تصور وعند اعتبار الذهن معها تطبيقها لما فى نفس الامر تصديق . ثم تلك النسبة باعتبار عروض التطبيق لها اما جازم اى مانع احتمال النقيض فان كان مطابقا للواقع ولم يقبل التشكيك فيقين وقد يخص العلم به وان قبله فهو الاعتقاد وان لم يكن مطابقا فهو الاعتقاد الفاسد والجهل المركب . وكلا قسمى الاعتقاد يسمى تقليد . اواما غير جازم فمتساوى الطرفين شك والراجح ظن والمرجوح وهم . وقد يطلق الظن على الاقسام الثلاثة المتقابلة لليقين اعنى قسمى التقليد وغير الجازم . وقد يسمى الظن المتاهى فى القوة علماً وبالعكس قال الله تعالى ﴿الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم﴾ قيل اى يعلمون . ثم الظن اما فى اصول الدين او فى فروعه والاول مذموم مطلقا واليه الاشارة بقوله تعالى ﴿ان تتبعون الا الظن وان الظن لايغنى من الحق شيئاً ولاتقف مالیس لك به علم . انهم الا يظنون﴾ والثانى ان كان عن امارة قوية بين اعتبارها فى اصول الفقه كظن المجتهد غير مذموم او عن امارة ضعيفة فمذموم اليه الاشارة بقوله تعالى ﴿ياايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم﴾ واما (الفكر) فيطلق تارة على حركة النفس بالقوة المتصرفة التى آلتها البطن الاوسط من الدماغ اية حركة كانت فان كانت فى المعقولات فيسمى القوة مفكرة وان كانت فى المحسوسات تسمى متخيلة وفعلها تخيلا وهذه الحركة واقعة فى مقولة الكيف لانها فى الكيفيات النفسانية بارتسام المخزونات الباطنة عند الاستعراض كهى فى الكيفيات المحسوسة فملاحظة النفس الامور عند الاستعراض نظر والحركة فيها فكر ولتلازمهما اطلق اسم احدهما على الآخر . وقد يطلق الفكر على حركتى النفس مبتدئة من المطالب الى المبادى وراجعة اليها وهذا المعنى هو الذى يتوقف عليه العلوم الكسبية ثم الشعور ادراك بغير استثبات وهو اول وصول العلم الى النفس وكأنه ادراك متزلزل ولذا لايسند الى الله تعالى . والتصور حصول الصورة . والحفظ حصولها وتأكدها

بحيث لو زالت تمكنت النفس من استرجاعها ولذا لايسمى علم الله حفظا لان الاحتياج الى التأكيد فيما يجوز زواله . والتذكر محاولة النفس استرجاع الصورة الزائلة . والذكر حصولها بعد الاسترجاع . والمعرفة قيل هى ادراك الجزئيات والعلم ادراك الكليات وقيل هى التصور والعلم التصديق وقيل هى ادراك الشئ ثانياً بعد الغفلة ولذا لايقال الله عارف . والفهم تصور الشئ مما دل عليه عبارة كانت او خطا او اشارة او غيرها . والافهام افادته وتحصيله للغير . والفقه الفهم ثم خص به علم الشريعة ثم خص به العلم بالاحكام الشرعية الفرعية عن ادلتها التفصيلية وقيل الفقه العلم بغرض المخاطب من خطابه لذلك قال تعالى فى كفار قريش ﴿ لايكادون يفقهون قولا ﴾ اى لايقفون على المقصود الاصلى من التكليف الشرعى . و (العقل) قيل العلم بصفة الحسن والقبح للعلم بالمضار والمنافع وقيل غريزة يلزمها العلم بالضروريات عند سلامة الآلات اى المشاعر الظاهرة والباطنة . والغريزة والطبيعة والقريحة هى السجية التى جبل الانسان عليها . وقد يطلق العقل على التعقل بالمعنى السالف وعلى الجوهر المجرد الذى لايتعلق بالجسم تعلق التدبير والتصرف وعلى قوى النفس التى لها بحسب تكميل جوهرها كالقوة التى بها تستفيض العلوم وهى العقل النظرى المنقسم الى اربع كالعقل الهيولانى و العقل بالملكة والعقل بالفعل والعقل المستفاد وتعاريفها مشهورة والقوة التى بها تصلح احوال البدن عقل عملى . واللب هو العقل الخالص عن شوب الوهم . والدراية هى المعرفة الحاصلة بضرب من الحيل كتقديم المقدمات واستعمال الروية ولذلك لايطلق على الله تعالى لامتناع الفكر ثم (الحكمة) اما علمية وهى العلم بالاشياء على ماهى عليه او عملية وهى العمل على الوجه المصلح . والعلمية ان كانت علما بما لايتعلق بالعمل فهى نظرية وان كانت علما بما يتعلق به فعملية ايضا . وقيل الحكمة الاتيان بفعل له عاقبة حميدة وقيل هى الاقتداء بالخالق سبحانه فى السياسة بقدر الطاقة البشرية وذلك ان يجتهد فى ان يتنزه علمه عن الجهل وفعله عن الجور وجوده عن البخل وحلمه عن السفه . واليقين العلم الحاصل بعد الشك ولذا لايقال تيقنت وجودى وان السماء فوقى ولذلك لايوصف الله سبحانه به . والذهن هو الاستعداد التام لادراك العلوم والمعارف بالفكر السالف وهو الجارى مجرى التضرع الى الله فى استرسال العلوم من عنده وذا فى التصديقات لايتم الا بمتوسط معلوم بين طرفى مطلوب مجهول ولذلك المتوسط نسبة الى الطرفين بها يحصل

مقدمتان للاثبات كالشاهدين . فحصول هذا المتوسط فى النفس بسرعة حدس. والذكاء شدة الحدس ويطلق على قوة الذهن ايضاً . والفطنة التنبه لشئ فيه خفاء كالاحاجى والرموز . والخاطر ما يحضر فى النفس بغتة عند التوجه اليه ولكون النفس محلا للخواطر سميت خواطر آتسمية للمحل باسم الحال . والخيال هو الصورة الباقية عن المحسوس بعد غيبته عن الحس ويقال للصورة الحاصلة فى القوة التى آلتها مؤخر البطن الاول من الدماغ وقد يقال لتلك القوة ايضا وطيف الخيال مجيئه فى النوم او مرادف له كما قال

﴿ ماسرت الا وطيف منك يصحبنى * سرى امامى وتأويباً على اثرى ﴾

وطيف من الشيطان لمم منه واللمم صغائر الذنوب وقيل مقاربة المعصية من غير مواقعة . والبديهية العلم الحاصل لا بسبب الفكر والاوليات البديهيات . والروية التفكر فى الامر وقيل ما كان من المعرفة بعد فكر كثير . والكيس خلاف الحمق والحمق قلة العقل وقيل الكياسة تمكن النفس من استنباط ما هو انفع قال صلى الله عليه وسلم ﴿ الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ﴾ والخبر العلم بالشئ المتوصل اليه بالتجربة والخبير العالم وبمعنى الابتلاء ايضا كالخبرة قال

﴿ قد استكبر الاخبار قبل لقائه * ولما التقينا صغر الخبر الخبر ﴾

ومنه قول ابى الدرداء رضى الله عنه وجدت الناس اخبر تقله يريد اذا خبرتهم قليتهم فلفظه امر ومعناه خبر . وقيل الخبر غزارة المعرفة من قولهم ناقة خبرة اى غزيرة اللبن . والرأى اجالة الخاطر فى المقدمات التى يرجى منها انتاج المطلوب وقد يقال للقضية المستنتجة والرأى للمفكرة كالآلة للصانع والفراسة هى الاستدلال بالخلق الظاهر على الخلق الباطن ففى الحديث ﴿ اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ﴾ وفى القرآن ﴿ سيماهم فى وجوههم * ان فى ذلك لآيات للمتوسمين ﴾ والفراسة من فرس السبع فهو اختلاس المعارف وذلك ضربان ضرب من الوحى واياه عنى صلى الله عليه وسلم بقوله ﴿ ان فى امتى محدثين وان عمر منهم ﴾ ويسمى ذلك ايضا النفث فى الروع والضرب الثانى مايكون بصناعة معلمة وهو الاستدلال بالاشكال على الاحوال الباطنة قال اهل المعرفة فى قوله تعالى ﴿ فمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ﴾ ان البينة هو القسم الاول وهو الاشارة الى صفاء جوهر الروح والشاهد هو القسم الثانى

﴿ الباب الثانى فيما يتعلق بوجه الحاجة الى علم التفسير وفيه فصول ﴾

﴿الفصل الاول﴾ ان وجه الحاجة الى علم هو جهة مطلوبيته وذلك فى العلوم النظرية اعنى غير الآلية كونها مطلوبة لذاتها . وفى العلوم الآلية كونها وسيلة الى المطلوب لذاته . ثم كون العلم مطلوبا لذاته انما يكون لشرفه . وشرف العلم و الصناعة . اما اشرف موضوعه كما ان صناعة الصياغة التى موضوعها الجواهر النفيسة اشرف من الدباغة التى موضوعها الجلد . واما الشرف مقصوده كما ان الطب المقصود به افادة الصحة لبدن الانسان اشرف من الكناسة المقصود بها تنظيف الخلاء . واما الشدة الحاجة اليه كما ان الفقه لانه يحتاج اليه كل العباد فى انتظام صلاح المعاش وفلاح المعاد اشرف من الطب الذى يحتاج اليه البعض فى بعض الاوقات . ووجوه الحاجة الاربعة معتبرة فى علم التفسير. اما اعتبار جهة آليته من وجه فلكونه محل استنباط العلوم الشرعية عن آخرها المطلوبة بالذات . واما اعتبار جهات نظريته فلشرفه اولا بشرف موضوعه وهو القرآن الذى هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة كما سيفصل ادلته ويحصل بها مزيته . وثانيا بشرف مقصوده الذى هو حصول الحكم العلمية والعملية والوصول الى السعادة الاخروية الابدية التى محصلها اربعة كما ذكر فى فصول الدقايق سرور لاغم له وصحة لاسقم معها و غنى لافقر فيه و حيوة لاموت بعدها . وثالثا لشدة الحاجة اليه لان كل كمال دينى او دنياوى عاجلى او آجلى مفتقر الى العلوم الشرعية والمعارف الدينية ومدارها كلها على العلم بكتاب الله الذى ﴿لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾ حتى قيل فى تفسير الحكمة فى قوله تعالى ﴿ ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً ﴾ انها تفسير القرآن . يروى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه انه وصف جابر بن عبد الله بالعلم . فقال رجل جعلت فداك تصف جابرا بالعلم وانت انت فقال انه كان يعرف تفسير قوله تعالى ﴿ ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد﴾ ولما كان الامر هكذا ناسب ان نعقب هذا الفصل بفصل فى فضل مطلق العلم الدينى الذى مناطه التفسير ثم بما فى فضل القرآن وسوره واهله وتلاوته وتعليمه فنقول ﴿ الفصل الثانى فى فضل العلم ﴾ فضله يدل عليه الكتاب والسنة والاثر والمعقول (اما الكتاب) فمنه قوله تعالى ﴿ شهد الله انه لااله الاهو والملئكة واولوا العلم﴾ حيث بدأ بنفسه وثنى بملائكته وثلث باهل العلم وناهيك بهذا مرتبة وجلالا ومنقبة وكمالا وقوله تعالى ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات﴾

قال ابن عباس رضى الله عنهما ﴿للعلماء فوق المؤمنين سبعمائة درجة مابين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام﴾ واعلم ان الله تعالى فضل العلماء بهذه الآية على كل المؤمنين لعمومه فيكونون افضل من مجموع الفرق الثلاث المفضلين بدرجات فى القرآن على غيرهم (احداها) اهل بدر فى قوله تعالى ﴿ انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الى قوله لهم درجات عند ربهم ﴾ (وثانيها) المجاهدون فى قوله تعالى ﴿ وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجراً عظيماً درجات﴾ (وثالثها) الصالحون فى قوله تعالى ﴿ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى﴾ والآيات الدالة على تفضيل اهل العلم كثيرة مثل ﴿ هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون . قل كفى بالله شهيداً بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب . وما يعقلها الا العالمون﴾ (واما السنة) فاكثر . منها حديث ابى الدرداء رضى الله عنه المذكور فى حسان المصابيح ﴿ من سلك طريقا يطلب فيه علماً سلك الله به طريقا من طرق الجنة . وان الملئكة لتضع اجنحتها رضاً لطالب العلم . وان العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الارض والحيتان فى جوف الماء . وان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب . وان العلماء ورثة الانبياء . وان الانبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر ﴾ وفيه لطائف من وجوه (الاول) ان سلوك طريق العلم يجازى بسلوك طريق الجنة لان سالك طريق العلم قاصد حضرة الاسماء والصفات المسماة بالجبروت والملكوت الاعلى والاسفل فى طريقه فاذا كان ﴿يوم تبلى السرائر﴾ يظهر ان ذلك الطريق طريق الجنة وانه عابر على الملئكة واجنحتها (الثانى) ان تنكير طريقا يفيد ان واحداً من طرقه كاف لذلك فيتعدد طرق الجنة حسب تعدده وانه اى طريق كان من طرق العلوم الدينية اذ مراد شارع الدين طرقه غير ان مراتب العوض يتفاوت بحسب مراتب المعوض لكن عدلا وقد قال الشيخ الكبير رحمه الله العدل لايغلب الفضل كعكسه (الثالث) ان استناد السلوك الجزائى فى قوله صلى الله عليه وسلم ﴿سلك الله به﴾ الى اسم الجلالة الذى هو الاسم المستجمع لسائر الاسماء يفيد ان شرف العلم يستتبع شرف سائر الصفات والكمالات لانه اقدمها والزمها للذات واقربها للاقتضاآت التى عليها جرت مشيئة الله تعالى و سائر الكمالات تابعة له وظاهرة بحسبه حتى ان الحيوة شرطه لاسببه (الرابع) ان وضع الملائكة اجنحتها ذكر فيه وجوه اربعة فقيل يصح ان يكون حقيقة ويراد الكف عن الطيران حين

ينزلون لسماع الذكر وذلك لنزول السكينة بنزولهم وهو معنى قوله رضاً لطالب العلم على هذا والله اعلم كما قال صلى الله عليه وسلم فى رواية ابى هريرة فى التالين والمتدارسين لكتاب الله ﴿ الا ونزلت عليهم السكينة وحفت بهم الملئكة ﴾ فان السكينة التى ينزلها الله ﴿فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا﴾ مفسرة بطمانينة القلب كمشاهدة المعلوم بالبصر الحقيقى الذى سمى الله تعالى فاقديه عمياً وهو الذى يبصر به آيات الوحدانية ولا شك ان الطمانينة بوحدة الحق رضاء به . او يراد بسط الجناح ليحملوه عليها ويبلغوه حيث يقصده وصنيعهم ذلك اما فى الدنيا اوفى الآخرة اوفيهما جميعا . وان يكون مجازا عن التواضع كما هو كذلك فى قوله تعالى ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ اى تواضع لهم اوعن المعونة وتيسير السعى فى طلب العلم . واعلم ان هذا ليس لكل طالب علم دينى بل لمن طلبه ليتفقه فى الدين ولينذر قومه اذا رجع اليهم اى طلب لاصلاح نفسه بالعلم والعمل ثم لاصلاح سائر عباد الله بالارشاد لا للمقاصد الدنية الثلاثة من المفاخرة والخيلاء على العلمآء او المجادلة والمرآء مع السفهآء او ليصرف وجوه الناس اليه بالتعظيم والاطرآء لحديث كعب بن مالك رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال ﴿من طلب العلم ليجارى به العلمآء او ليمارى به السفهاء او ليصرف به وجوه الناس اليه ادخله الله النار﴾ (الخامس) استغفار من فى السموات والارض للعالم ظاهر فى العقلآء حقيقة وفى غيرهم مجازاً لكن ليس هنا جمع بين الحقيقة والمجاز عند من لا يقول به . اما لانه حقيقة فى الكل كالتسبيح والتحميد فى قوله تعالى ﴿ وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ واما لان فيه عموم المجاز وهو ان يكتب الله للعالم مغفرة بعدد كل منهم وسببه وحكمته ان صلاح العالم بالعالم وما من شئ من العالم الا وله مصلحة معقودة بالعلم لان بركة علمه وعمله وارشاده وفتواه رحمة للعالمين . قال ابو الدرداآء فيما يروى عنه تركنا محمد صلى الله عليه وسلم ومامن طائر يحرك جناحيه الا اذكرنا منه علماً فكتب الله على كل نوع منها لطالب العلم استغفاراً جزاءله عنها (السادس) ان تخصيص الحيتان بالذكر بعد التعميم تميم كذكر الرحيم بعد الرحمان ووجهه الاشارة الى انه كما ان المطر والخصب ببركة العلمآء حيث قال صلى الله عليه وسلم ﴿ بهم يمطرون وبهم يرزقون ﴾ فعيش مالا يحتاج الى المطر لاستغراقه فى الماء كالحيتان ببركتهم ايضاً والتحقيق فيه والله اعلم ان الماآء مظهر العلم كما ذكره المشايخ رحمهم الله فى قوله تعالى ﴿فيها

انهار من ماء غير آسن ﴾ ولذلك ﴿ كان عرشه على الماء ﴾ وقد قال الله تعالى ﴿ وجعلنا من الماء كل شئ حى ﴾ وعلم بذلك ان العلم مناط الكل وبه صلاحهم وعلى طبقته غدوهم ورواحهم فايما تحقق ظهوره يترشح الى نحور المستمدين بحوره ثم يعود الى صاحبه ببركته لما علم فى قاعدة الفيض انه دائر حركته (السابع) ان تشبيه العالم بالبدر والعابد بالكواكب اشارة الى ان تحليتهم بالانوار بعد تحليتهم بالاستغفار غالبة جداً وبالغة حداً هو بالنسبة الى انوار العبادة اكملها واتمها وهى كالفائضة منه وان لم يكن فى نفسه ذاتياً بل مستفاداً من نور النبوة وشمس الحقيقة استفادة نور القمر من نور الشمس . واعلم ان العالم المفضل ليس المعطل عن العمل والعابد المفضل عليه ليس العاطل عن العلم بل ان علم ذلك غالب على عمله وعمل هذا غالب على علمه واوضحوا ذلك بان المراد بالعالم البالغ درجة الفتوى الآتى بما وجب عليه فقط وبالعابد الذى يعرف الفرائض والسنن ولم يبلغ درجة الفتوى ويمكن ان يقال المراد بالعالم العالم تحقيقا او العالم بالله ويلزمه العمل وبالعابد العابد تقليدا ولا يلزمه العلم . الاول يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث ابى امامة الباهلى رضى الله عنه ﴿ فضل العالم على العابد كفضلى على ادناكم ﴾ وناهيك فضلا للعلم . قال محمود بن على القاشانى فى لباب قوت القلوب ان هذه الفضيلة اما لصاحب علم الوراثة وهو العالم بالله الدال عليه واما لصاحب علم الدراسة لكن لا مطلقا بل اذا طلب بعلمه عملاً يتقرب به الى مرضاة الله تعالى لا لصاحب سائر علوم الفتيا والاحكام بدليل وصفه بانتاج الخشية والخضوع والا لزم العالم بالبيع والشرى ان يقتنى المال فيعمل بعلمه وليس كذلك بل قد يروى فى كراهته ما يكثر ذكره . ثم قال الحاصل من اقوال السلف ان العلم الذى هو فضيلة علم المعاملات الذى يستعقب الاعمال القلبية والقالبية وعلم المكاشفات الذى هو ثمرة المعاملات وما سواها من علم الفتاوى وعلم المعاملات بلا عمل فهو غير فضيلة بل حجة على صاحبه (الثامن) كون ﴿ العلماء ورثة الانبياء ﴾ وميراثهم العلم دليل انه افضل متاع بقى من افضل مخلوق لكن فيه نكتة هى ان الميراث لا يراد لذاته بل للانتفاع به شرف الانتفاع فانما يكون العلم ميراثهم ان لو عمل به وعلم الغير كما هو حال علم الانبياء . وقد يروى عن الانجيل ﴿ من علم وعمل وعلم يدعى فى ملكوت السموات عظيما ﴾ هذا انموذج من تحقيق احاديث المصابيح فى باب فضل العلم وعليك بتحقيق غيره صحاحا وحسانا . اما من